تـمّ تحميل هذا الملفّ من مكتبة الأديب الرّاحل رمضان لاوند | جميع الحقوق محفوظة © www.RamadanLawand.com

الأَديب و المُفكِّر الرَّاحِل

رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَند

سيّد المنابر

الإسلام عند غير المسلمين

الحلقة (20)

باسم الله أبدأ ..

وفي ظل المصطفى عليه الصلاة والسلام يكون الحديث ..

وبهدي من الإسلام يمضي الفكر يلتمس التوفيق ..

أيها الأخوة في العروبة ..

لامانس وفنسنك ومرجليوث وارليري .. أربعة من المستشرقين أقطعوا عقولهم للتعصب والعداء ورفض كل ما هو عربي إسلامي .

هؤلاء الأربعة .. لا يمكن أن يدّعي باحث في الإسلام ومؤرخ لحركة الاستشراق أنهم تعاطفوا مع الرسالة المحمدية والحضارة الإسلامية .

ولكنهم الأربعة أفلتت – رغما عنهم – بين سطور أبحاثهم الكثيرة المعادية سطور حقائق رأينا في عرضها هنا دلالة على قدرة دين الله وهو يفرض نفسه ووجوده رغم أنف الموتورين .

هنري لومانس مثلا ..

أو الأب لومانس .. فهو راهب .. درس اللاهوت ودرّسه في فيينا وروما ثم استقر به المقام أستاذاً في جامعة القديس يوسف في بيروت حيث تولى إدارة التبشير ..

هذا الأب لومانس .. له نحو ثمانين بحثاً في العرب والإسلام والأديان .. تستهدف جميعها النيل من الإسلام والحط من شأن العرب المسلمين، حتى اتهمه المستشرقون المحدثون بالتحيز والخروج على ما يفرضه البحث العلمي من دقة وأمانة .

هذا المستشرق –لومانس– وصل الأمر بادعاءاته ضد الإسلام الى أن دوائر الفاتيكان رفضت نشر كتابه عن حياة الرسول عليه الصلاة والسلام تقديراً منها لمخالفته لروح البحث العلمي الصادق .. وقد نصب كثيرون من المستشرقين أنفسهم للرد على الأب لومانس وادعاءاته غير العلمية ضد الإسلام، مثل بيكر وماسيه وفييت ودي ماتيو .. ورغم ذلك الموقف العدائي الغالب على مؤلفاته يظهر الحق الإسلامي وسطها نورانياً ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

يقول لومانس في بحثه " إخلاص محمد " ...

" والنجاح السريع الذي أحرزه محمد كان راجعاً إلى شخصه وإلى ما طرحه على عشيرته من آراء وجدوا فيها حلولاً لكثير من الأسئلة التي كانت بلا جواب والمشاكل التي كانت بلا حل " ..

أما فنسنك المستشرق الهولندي المتوفي عام 1939 أستاذ العبرية ثم العربية في جامعة ليون فقد عني بالأحاديث النبوية وعلاقات اليهود بالمسلمين، وقد دأب مثل لومانس على استغلال الصراع المذهبي الإسلامي بين السنة والشيعة في تأييد مزاعمه ضد الإسلام ونسبة المفتريات إليه ..

ورغم كل ما ادّعاه نجده في بحثه الذي نشرته جامعة كمبردج عام 1932 عن العقيدة الإسلامية وتطورها التاريخي يقر ويعترف أن انتشار الإسلام في الجزيرة العربية تم بسرعة مذهلة وحقق انتصارات غريبة على منطق التاريخ، وأن التقاء محمد وأنصاره الأولين مهما كانت أسبابه العقائدية ودوافعه القبلية والاقتصادية ما كان من الممكن أن يقهر امبراطورية فارس ويسجن امبراطورية الروم داخل آسيا الصغرى ، الأمر الذي ما زال بالنسبة للمؤرخين مجرد استنتاجات لا سند لها من مبررات قوية تفسر تلك الهزائم التي نزلت بالفرس والروم على يد قلة عربية ليست لها عدة وخبرة وثروة وكثافة الامبراطوريتين اللتين كانتا تتنازع العالم عند ظهور محمد بالإسلام ..

ويمضي مرجليوث المستشرق الانجليزي الذي عمل أستاذاً للغة العربية في جامعة أكسفورد ورئيس تحرير مجلة الجمعية الملكية الآسيوية فقد نصب نفسه – مع ما ترجمه من كتب عربية – مهاجماً لشخص الرسول عليه الصلاة والسلام .

وقد أطلق مرجليبوث لمفترياته العنان إلا أنه كسلفيه لومانس وفنسنك اضطر في أكثر مؤلفاته إلى الإشادة بقدرة نبي الإسلام على مواجهة معاركه العقائدية والحربية كأروع وأرفع ما يقود به قادة الأحزاب والجيوش والشعوب جماعاتهم المؤمنة بهم إلى الأهداف المحددة .

أيها الأخوة في العروبة ..

يبقى من الأربعة المستشرقين الذين لا يمكن وصفهم بالعلماء الأمناء المنصفين المستشرق الانجليزي دالاس أوليري .فقد التمس باباً آخر يهاجم منه الإسلام والحضارة الإسلامية ... انهال على ما أحرزه العرب من تفوق فكري بعد ظهور الإسلام وأخذ يلتمس له مصادر أجنبية عن العروبة والإسلام موهماً قراءه أن العرب المسلمين لم يكونوا أكثر من مترجمين ".

ولعل أشهر مؤلفاته ثلاثة :

1) أثر جالينوس في الفلسفة العربية .

2) كيف تسربت الثقافة اليونانية إلى العرب .

3) الفكر العربي ومكانه في التاريخ ..

ورغم كل ما ادّعاه أوليري بتحليل ذكي خبيث فإنّ عبارات كثيرة أفلتت منه أفسدت عليه هدفه، حتى أن معاصره المستشرق الهولندي الألماني كارل هنريخ بيكر أستاذ اللغات الشرقية في جامعات هامبورج وبون وبرلين والذي اختير وزيراً للمعارف الالمانية عام 1921 أبى إلا أن يرد عليه مفترياته ضد الفكر الإسلامي وإبداعه العلمي في مجموعة أبحاث علمية دقيقة مثل بحثه " الإسلام في إطار تاريخ الحضارة " المنشور في نفس عام 1922 التي أصدرها أوليري بأكاذيبه الأخيرة تحت اسم " الفكر العربي ومكانه في التاريخ " ...

ومن الاعترافات التي صدرت عن أوليري في هذا الكتاب رغم كل ما حاوله من طمس للتفوق الحضاري الإسلامي قوله في المقدمة :

" إن الثقافة الأوروبية الحديثة مشتقة من ثقافة الامبراطورية الرومانية .. أما مجيء التأثير الإسلامي بطريق أسبانيا فلعله الحالة الوحيدة التي نجد فيها ثقافة أجنبية تدخل في التقاليد الرومانية وتترك أثراً فعالاً فيها " ..

كذلك يعترف أوليري بفضل الإسلام في خلق العرب من جديد شعباً غالباً متفوقاً عندما يقول في الفصل الثاني من نفس كتابه " الفكر العربي ومكانه في التاريخ " ..

" ولقد جاء الفتح العربي مفاجئاً تماماً، فبعد 14 سنة من الهجرة المحمدية استطاع العرب فتح سوريا والعراق ومصر وفارس وهم ولا شك مدينون بهذه الفتوح للإسلام الذي أقام بينهم وحدة فكر وهدف "..

ونتابع اعترافات أوليري في كتابه "الفكر العربي ومكانه في التاريخ" فنراه يقر رغماً عنه في الفصل التاسع أن الفيلسوفين الكنيسيين الشهيرين ألبر الأكبر وتوماس داكوين أخذا عن ابن رشد أسلوبه في البحث العقلي وأقاما فلسفتهما التي صارت أساس الفلسفة اللاهوتية عن أبو بكر بن باجه الأندلسي .

ويضيف أوليري إلى اعترافاته الكثيرة قوله في الفصل الأخير من كتابه :

" إن القديس توماس داكوين كان أول من استعمل آراء ابن رشد استعمالاً حراً حتى أنه من اعجابه بالفيلسفوف العربي سماه إمام المناطقة الذي لا ينازع ، أما البر الأكبر فقد وضع كتاباً أصبح مدرسة فلاسفة أوروبا في القرون الوسطى وأساس أبحاثهم الفكرية هو كتاب "في وحدة العقل عند الرشديين" .كذلك كان من أبرز ما اهتمت به الدراسات الأوروبية في القرون الوسطى هو نقل ما توصل إليه العرب من إبداعات علمية مختلفة وخاصة في الكيمياء والرياضة والطب . إن الحضارة المعاصرة هي أثر من آثار ثقافات انتقلت إلى المجتمع الإسلامي الذي طورها تطوراً تخصيصياً ترك آثاره في الفكر المسيحي واليهودي أقوى مما تركته أية حضارة في الفكر الإسلامي نفسه " ..

هذا أيها الأخوة في العربية شهادات خصوم للإسلام والحضارة العربية .. تنطق رغماً عنهم بقدرة العرب على استقبال الحضارة والتفوق فيها ..

فلنعش إذاً على أمل .. أمل في عودة إلى صحيح الدين، ومكان في العطاء الحضاري عال ورفيع .

والله الموفق .. الله المعين ..